الإسلام وحركة التقدم البشري
في فكر محمد مهدي شمس الدين

الباحث: ضياء عبد الرضا كريم
كلية التربية/ جامعة القادسية
edu-hist.post64@qu.edu.iq

أ.م.د. سعد كاظم عبد الجنابي
كلية التربية/ جامعة القادسية
alganabisaad@yahoo.com

الخلاصة:

محمد مهدي شمس الدين من الشخصيات الإسلامية المهمة بسبب ما تركه من اثر واضح في الساحة الثقافية الإسلامية، فنجده في السياسة، والدعوة الى التجديد ، وقضايا المرأة ، وكذلك يتحدث في التاريخ الإسلامي في قرأت جديدة معتمداً في قرأته على وصايا وحكم الإمام علي(عليه السلام) في موارد متعددة مستخرجاً لبعض تلك النصوص من بطون الكتب و محققاً لسندها ثم يشرحها ويبين مضامينها، ومن هذه الموضوعات هي نظرة الإسلام للتقدم البشري.

الكلمات المفتاحية: الاسلام؛ التقدم البشري؛ محمد مهدي شمس الدين.

Islam and the Movement for Human Progress in the Thought of Muhammad Mahdi Shamseddine

Researcher: Zia Abdulrida Karim **Assist.Prof. Dr. Saad Kazem Abed**
College of Education / University of Al-Qadisiyah
edu-hist.post64@qu.edu.iq **alganabisaad@yahoo.com**

Abstract:

Mohamme Mahdi Shamseddine is an important Islamic figure because of his clear impact on the Islamic cultural scene, we find him in politics, the call for renewal, and women's issues, as well as speaking in Islamic history in a new reading based on the commandments and ruling of Imam Ali (peace be upon him) in various resources extracted from some of these texts from the bellies of books and fulfilling their support and then explaining them and explaining their contents, One of these topics is Islam's view of human progress.

Keywords: Islam; Human Progress; Muhammad Mahdi Shamseddine.

المقدمة:

يبين محمد مهدي شمس الدين أن حركة الكائنات الحية هي المحور الاساسي في حركة التاريخ ولكن هذه الحركة لم تكن عشوائية وهنالك نوعان من الحركات نوع ليس ارادي وهو خاضع لمبدأ الضرورة ونوع ارادي باختيار وهو لدى الانسان فقط ، وأن الانسان يتعامل معه وفق مبدأ الضرورة.

التاريخ وحركة التقدم البشري ونظرة الاسلام في فكر محمد مهدي شمس الدين:

يسلط محمد مهدي شمس الدين الضوء على حركة التقدم البشري في بيان مضامين الحركة قائلاً:" التاريخ حركة الكائن في الزمان و المكان. والكائن جماد، ونبات، وحيوان، وإنسان. وتاريخ كل من الجماد والنبات والحيوان يسير وفق قوانين ثابتة، وموضوعه خارج هذه العوالم.

إن الجماد لم يضع قوانين حركته، ومن ثم فإنه لم يضع قوانين تاريخه، وكذلك النبات والحيوان. إن هذه الثلاثة خاضعة في جميع حالات وجودها لمبدأ الضرورة، ومن ثم فتاريخها من جميع وجوهه خاضع لمبدأ الضرورة، إنه حصيلة حركتها الضرورية في الزمان والمكان، ومن ثم فـ(الخطأ) غير وارد في تاريخ هذه العوالم، إنها لا تصنع تاريخها ولذا فهي لا تقع في أخطاء العمل "[١].

لكن مبدأ الضرورة لا يوجد عند الانسان وهناك عوامل تؤثر في حركة الانسان وهذا ما يؤكده محمد مهدي شمس الدين بالقول: " أما تاريخ الانسان فشيء آخر إن الانسان يتعامل مع الكون على اساس مبدأ الاختيار لأنه كائن حر لا يخضع لمبدأ الضرورة إلا في نطاق العمليات البيولوجية في جسمه، ومن ثم فإنه يشارك في وضع قوانين حركته الزمان والمكان، فإن الانسان يكيف نفسه لتنسجم مع الطبيعة حين يعجز عن تكيف الطبيعة لتنسجم معه"[٢].

هنالك عوامل داخلية وخارجية تؤثر في سلوك الانسان وبالتالي فهي تؤثر في حركته يبينها محمد مهدي شمس الدين قائلاً:" والانسان يحب ويبغض ويأمل ويأس، ويتألم، ويحلم والإنسان يخاف ... يخاف من المجهول يخاف من المستقبل...والإنسان قبل كل شيء وبعد كل شيء: يحلل المواقف والمشكلات التي تواجهه ويركبها، ويوازن بين احتمالاتها، ويرجح ويختار، ويتحرك وفقاً لاختياره، فهو إذن يستجيب في حركته لعالمه الخارجي ولعالمه الداخلي من موقع الاختيار باعتباره كائنا حراً لا من موقع الضرورة، ومن هنا فإن الخطأ في التحليل والتركيب والاختيار، والرجوع الى الوراء في حركته، وما يؤدي إليه ذلك من خيبات الأمل في خططه ومشاريعه ـ أمور حدثت للإنسان دائماً في حركته التاريخية"

يؤكد محمد مهدي شمس الدين شمولية تاريخ الانسان بالسلب والايجاب ولا يمكن للإنسان أن يكون احادي النظرة الى تاريخه لان ذلك يجعله يقع في المآسي وخيبات الامل :" ولذا فإن تاريخ الإنسان كما هو سجل مشرق ومشرف لانتصاراته وانجازاته في الطبيعة والمجتمع وهو كذلك سجل كئيب حافل بأخطائه، وانتكاساته حركته نحو المستقبل وخيبات أمله.

ومن أسوأ ما يمكن أن يقع فيه الإنسان من أخطاء: حسبانه في كثير من الحالات أنه كان دائماً على صواب، وان تاريخه يمثل خطاً صاعداً باستمرار، وان حركته نحو المستقبل ـ لذلك ـ تقدمية دائماً، خيرة دائماً، صائبة دائماً، لا يتخللها خطأ ولا انحراف"[٣].

كذلك يرفض محمد مهدي شمس الدين النظرة الى السوء فقط قائلاً:" ومن ذلك في السوء حسبانه أن كل ماضيه خطأ وتخلف، ومن ثم فهذا الماضي لا يستحق منه الالتفات والمراجعة، وأنه اهتدى إلى النظرة الصائبة في حاضره، وانه في حركته نحو المستقبل حليف الصواب والتوفيق باستمرار"[٤].

وكلا النظرتان مرفوضتان لأسباب يبينها من خلال استمراره في الحديث بالقول:" إن هذا الحسبان وذلك يحملان الإنسان على ارتكاب مزيد من الأخطاء، والوقوع في الكثير من المآسي وخيبات الأمل. ذلك بأن الإنسان حين يخال حركة التاريخ دائماً على صواب فإنه يلغي جميع المؤثرات الإنسانية، ويسلم نفسه لحركة التاريخ الإنساني كما لوكان هذا النوع خاضعاً لمنطق الضرورة كتاريخ الجماد والنبات والحيوان. ومن ثم فإنه يرتكب الأخطاء الكبرى وهو يحسب أنه على صواب، ويصحح أخطاءه بأخطاء أخرى تسبب للإنسانية مزيد من المآسي الفردية والجماعية"[٥].

كذلك عندما يتصور الإنسان أن الماضي مجموعة اخطاء، في هذا الصدد يتحدث ويعطي النتائج المترتبة على النظرتان قائلاً:" وكذلك الحال حين يحكم الإنسان على ماضيه بانه مجموعة اخطاء قاد

أسلافه إليها الجهلُ وسوء الفهم وسوء التوجيه، ولذا فلا شيء من هذا الماضي يصلح للحاضر وللمستقبل . وانه كان ضالاً فاهتدى، وأنه امتلك الحقيقة التاريخية وكانت ضائعة منه بسبب هذا الذي غله وشل قواه.

إن الإنسان باتخاذه لهذا الموقف يحكم على جميع تجارب الماضي بالفشل والبطلان، وهو حكم لا شك في أنه جائر عن قصد السبيل، لأن الحقيقة هي أن في تجارب هذا الماضي الكثير من الصواب الذي تكبدت الإنسانية أنواعاً شتى من الآلام والتضحيات وتحملت كثيراً من المصاعب في سبيل الوصول إليه والاهتداء إلى معالمه"[٦].

يأتي محمد مهدي شمس الدين بالنظرة النهائية للإسلام من خلال القرآن الكريم حول الحركة التقدمية للإنسان قائلاً:" فالإسلام ـ ممثلاً بالقرآن الكريم، والسنة الشريفة، والفقه ـ إذ يدفع بالإنسان نحو المستقبل الافضل من حاضره وماضيه، يركز على ان هذه الأفضلية تقوم على مقياس مركب يعطي لكل واحد من المادة والمعنى دوراً حاسماً وأساساً في اجاز التقدم المتكامل المعافى، فلا بد أن تحقق حركة الإنسان في الزمان والمكان تقدماً وتكاملاً على صعيد المادة وعلى صعيد الوضعية الأخلاقية والصفات الإنسانية لتكون حركته تقدمية.

قال الله تعالى:{ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ}[٧].

وقال الله تعالى:{ يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ (٣١) قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٣٢) قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ }[٨].

يُبين اثر النظرة المتوازنة التي يجب أن يكون عليها الإنسان قائلاً:" أما تحقيق التقدم المادي وحده مع إهمال العناية بالوضعية الأخلاقية والمعنوية للإنسانية أو مع التضحية بها فإنه كقصر العناية على الوضعية الأخلاقية والروحية مع إهمال شؤون التقدم المادي ـ كلاهما لا يمثلان النظرة المتوازنة التي يجب أن تقوم عليها حركة الإنسان التاريخية وتبنى على هديها مؤسسات الحضارة. إن كل واحد من الاتجاهين يمثل انحرافاً معيناً لا يخدم الإنسانية ولا يبني الحضارة.

إننا ـ وفقا لهذه النظرة المتوازنة ـ كما نعتبر النقص في انتاج السلع والخدمات المادية بدرجة تكفي أكبر عدد من الناس وتحقق لهم الرفاهية واللذة ـ كما نعتبر هذا النقص وما يتصل به تخلفاً، كذلك نعتبر من أسوأ مظاهر التخلف: تزايد الجرائم في المجتمع بشتى أنواعها، وتصدع الأسرة، وجفاف العلاقات الإنسانية النظيفة، ونمو روح الحرب والعدوان داخل المجتمعات وبين المجتمعات القومية والوطنية، وهو أن الحياة البشرية عندما تكون خارج الإطار القومي والعنصري للمعتدي... وغير ذلك من مظاهر فساد الوضعية الأخلاقية للإنسان فرداً وجماعة ومجتمعاً ودولةً"[٩].

إن المتتبع لسيرة محمد مهدي شمس الدين وقراءته للتاريخ الإسلامي يجد انه ارتكز في آرائه وقراءته على اراء و وجهات نظر الامام علي (عليه السلام) و خطبه و رسائله التي جُمعت في كتاب نهج البلاغة جمعها الشريف الرضي[١٠] وشُرحت شروحاً عدة وغيرها من المصادر التي تناولت تلك الخطب والرسائل والوصايا والحكم، وجاءت هذه القراءة في كتب صدرت في هذا المجال منها (حركة التاريخ عند الإمام علي(ع) دراسة في نهج البلاغة) الذي ينطلق فيه لبيان وجهة نظر الامام للتاريخ فنجده عندما يتحدث عن كيف واجهه الامام التاريخ قائلاً: " كان امير المؤمنين علي(عليه السلام)، كما يخبرنا هو... يوجهه عناية فائقة إلى التاريخ، عناية جعلت من التاريخ عنصراً بارزاً فيما وصل إلينا من كلامه في مختلف

الموضوعات التي تثير اهتمامه. وعناية الامام بالتاريخ ليست عناية القاص والباحث عن القصص. كما أنها ليست عناية السياسي الباحث عن الحيل السياسية وأساليب التمويه التي يعالج بها تذمر الشعب، وإنما هي عناية رجل الرسالة والعقيدة، والقائد الحضاري والمفكر المستقبلي"[١١].

يميز محمد مهدي شمس الدين بين المشتغلين في حقل التاريخ من حيث الاهداف و يُبين الهدف الاسمى من بين تلك الاهداف بالقول:" إن القاص يبحث ليجد في تاريخ الماضين وآثارهم مادة للتسلية والإثارة. والسياسي يبحث ليجد في التاريخ أساليب يستعين بها في وضع الخطط الآنية المحدودة. والمؤرخ يقدم لهذا وذاك المادة التاريخية التي يجد ان فيها حاجتهما. أما الرائد الحضاري، رجل الرسالة والعقيدة ورجل الدولة فهو يبحث ليجد في التاريخ جذور المشكل الإنساني، ويتقصى جهود الإنسانية الدائبة في سبيل حل هذا المشكل بنحو يعزز قدرة الإنسان على التكامل الروحي ـ المادي، كما يعزز، قدرته على تامين قدر ما من السعادة مع الحفاظ على الطهارة الإنسانية.

لقد كان الامام علي يتعامل مع التاريخ بهذه الروح ومن خلال هذه النظرة، ومن ثم فلم يتوقف عند جزئيات الوقائع إلا بمقدار ما تكون شواهداً ورموزاً، وإنما تناول المسألة التاريخية بنظرة كلية شاملة، ومن هنا فقلما نرى الامام في خطبه و كتبه يتحدث عن و قائع و حوادث جزئية ، و أنما يغلب على تناوله للمسألة التاريخية طابع الشمول و العمومية .

والإمام ليس مؤرخاً، ولذا فليس من المتوقع أن نجد عنده نظرة المؤرخ وأسلوب في سرد الوقائع وتحليلها والحكم عليها، وإنما هو رجل دولة حاكم، ورجل عقيدة ورسالة وهبها كل حياته، فهو يتعامل مع التاريخ باعتباره حركة تكون شخصية الإنسان الحاضرة والمستقبلة، ولذا فهي تشغل حيزاً هاماً وعلى درجة كبيرة من الخطورة في عملية التربية والتحرك السياسي، وهذا ما يجعل رجل رسالة وحاكماً كالإمام علي(عليه السلام) حريصاً على أن يدخل في وعي أمته التي يحمل مسؤولية قيادتها ومصيرها إلى التاريخ سلمية تجعله قوة بانية لا محرفة"[١٢].

يورد محمد مهدي شمس الدين نصاً من شرح نهج البلاغة[١٣] اوصى به الإمام علي(عليه السلام) ابنه الإمام الحسن(عليه السلام) يستشف من خلاله عناية الإمام الفائقة بالتاريخ و النص هو(أي بني إني وإن لم أكن عمرت عمر من كان قبلي، فقد نظرت في أعمالهم، وفكرت في أخبارهم، وسرت في آثارهم، حتى عدت كأحدهم، بل كأني بما انتهى إلي من أمورهم، قد عمرت مع أولهم مع أولهم إلى اخرهم، فعرفت صفوة ذلك من كدره، ونفعه من ضرره)"[١٤].

أما عن المصادر التي اعتمد عليها الإمام علي(عليه السلام) في معرفة التاريخ يذكرها قائلاً:" نقدر أن الإمام(عليه السلام) قد اعتمد في معرفته التاريخية على عدة مصادر: القرآن الكريم ـ التعليم الخاص ـ السنة النبوية ـ القراءة ـ الآثار القديمة"[١٥].

الخاتمة

هنالك الكثير من القراءات للتاريخ ووجهات النظر واراء متعددة حول اعطاء تعريف للتاريخ ومفهوم واضح ومنها اراء محمد مهدي شمس الدين حيث سلط الضوء في كتابه(حركة التاريخ عند الإمام علي(عليه السلام) ضمن سلسلة دراسات لشرح بعض المضامين في كتاب نهج البلاغة الذي جمعه الشريف الرضي واجريت له شروحات كثيرة منها ابن ابي الحديد المعتزلي. من المواضيع التي تناولها محمد مهدي شمس الدين هي التقدم البشري من وجهة نظر الإسلام وكيف تتم عملية الحركة وانواعها.

الهوامش:

(١) شمس الدين، محمد مهدي، حركة التاريخ عند الإمام علي(ع)،ص ١٩
(٢) شمس الدين، محمد مهدي، حركة التاريخ عند الامام علي(ع)، ص ١٩.
(٣) شمس الدين، محمد مهدي، حركة التاريخ عند الامام علي(ع)، ص٢٠.
(٤) شمس الدين ، محمد مهدي، حركة التاريخ عند الامام علي(ع)،ص٢٠.
(٥) شمس الدين، محمد مهدي، حركة التاريخ عند الامام علي(ع)،ص٢١.
(٦) شمس الدين، محمد مهدي، حركة التاريخ عند الامام علي(ع)، ص ٢١.
(٧) سورة القصص (رقم ٢٨مكية) الآية ٧٧.
(٨) سورة الاعراف(رقم٧ مكية) الآية ٧٧.
(٩) شمس الدين، محمد مهدي، حركة التاريخ عند الامام علي(ع)، ص ٢٦.
(١٠) الشريف الرضي: محمد بن الحسين بن موسى بن محمد بن موسى بن إبراهيم . ولد ٣٥٩ وتوفي ٤٠٦ عن ٤٦ سنة ودفن بداره في بغداد ثم نقل إلى مشهد الحسين بكربلاء وتعلم في نشأته العلوم العربية وعلوم البلاغة والأدب والفقه والكلام والتفسير والحديث على مشاهير العلماء ببغداد. له مؤلفات كثيرة منها خصائص الأئمة ، واخبار قضاة بغداد، وحقائق التأويل في متشابه التنزيل، ونهج البلاغة الذي جمعه من كلام الإمام علي بن أبي طالبِ(اعيان الشيعة، الامين، محسن، ج٩ص ٢١٦ـ ٢٢٤)
(١١))شمس الدين، محمد مهدي، حركة التاريخ عند الامام علي(ع) ص ٢٩.
(١٢) شمس الدين، محمد مهدي، حركة التاريخ عند الامام علي(ع)، ص ٣٠.
(١٣) المعتزلي ، ابن ابي الحديد، ج ١٦، ص ٦٧.
(١٤) شمس الدين، محمد مهدي، حركة التاريخ عند الامام علي(ع)، ص٣١.
(١٥) شمس الدين، محمد مهدي، حركة التاريخ عند الامام علي(ع)،ص ٣٢ـ ٣٧.

Bibliography:

1-alquran alkarim .
2- 'abn abi alhadidi, eiz aldiyn, 'abu hamid, eabd alhamid bin hamidi(t 656ha). sharh nahj albalagha .
3-alamin, muhsin .aeian alshiyeat , tahqiq hasan al'amini, t dar altaearuf , bayrut.
4 -shams aldiyn, muhamad mahdi, harakat altaarikh eind al'iimam eali (e) dirasat fi nahj albalaghati, almuasasat alduwaliati, ta4, 1418hi/ 1997m.